ملخّص برنامج الخاتمة - الحلقة (٤٣٦) / عبد الحليم الغزّي
صولة القمر (ج٥٦)
حديث الحقيقة ومنطق الانصاف (ق٢)
الاربعاء : ٢٦/شوال/١٤٤٤هـ - الموافق ١٧/٥/٢٠٢٣م

"حَديثُ الحقيقة ومَنطقُ الإنصاف"، الجزءُ الثاني.
جوابٌ لسؤال الأخ الفاضل المصري الذي هو في حيرة من أمره، فلا هُوَ إلى السُنَّة ولا هُوَ إلى الشيعة!!
بدأتُ الحديثَ من هذه النقطة؛ **"من أنَّ رسولَ اللّهَ صلَّى اللّهُ عليه وآله حولهُ ثلاث مجموعات".**
- **المجموعة الأولى: "الصَّحابَة"**، فإنَّ القُرآنَ مَدحهُم وذَمّهم.
- **المجموعةُ الثانية: "نساءُ النَّبي"**، فإنَّ القُرآنَ مَدحَ نساء النَّبي وذَمَّهُنَّ، فَحالهنَّ كحال الصَّحابة..
- **المجموعةُ الثالثة: "القُربى"**.

في الآية الثالثة والعشرين بعدَ البسملة من سورة الشورى: ﴿**ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ**﴾، المعنى الإجمالي الَّذي تستطيعونَ أن تَتحسّسوه، تَستطيعونَ أن تَستشعروه، هؤلاء هم المجموعةُ الثالثة غَيرُ الصَّحابَة ، وغَيرُ نساء النَّبي، هؤلاء هُم القُربى الَّذينَ مودَّتُهم الواجبةُ أجرُ الرسالة..
هؤلاء هُمُ هُمُ الَّذينَ جاء ذكرهم في الآيةِ الحاديةِ والستينَ بعدَ البسملة من سورة آل عمران، إنَّها آيةُ المباهلة وقصّةُ المباهلة قصّةٌ طويلةٌ، إنَّها المباهلةُ مع نصارى نجران: ﴿**فَمَنْ حَآجَّكَ فيه** - حآجَّكَ في عيسى - **من بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ**﴾، هؤلاء هُم الَّذينَ باهَلَ بِهم رسولُ اللّه:
- **"أَبْنَاءنَا"**؛ إنَّهم القُربى حسنٌ وحسين.
- **"ونِسَاءَنَا"**؛ إنَّها فاطمة.
- **"وَأَنْفُسَنَا"**؛ إنَّهُ عليٌ.
هؤلاء هم هُمُ الَّذينَ تحدَّثت عنهم الآيةُ الثالثةُ والعشرون بعد البسملة من سو رة الشورى وجعلت مَودَّتهم الواجبةَ أجراً لمُحَمَّد صَلَّى اللّهُ عليه وآله، إنَّهُ أجرُ الرِسالة الـمُحَمَّديَّة، مُباهلةٌ ومَن الَّذي يُباهل؟ رسولُ اللّه، فلا يُعقَلُ أن يُباهلَ بأشخاص لا تكونُ مَنزلَتُهم كمنزلته، (أوَّلُهم مُحَمَّد أوسطُهم مُحَمَّد آخرهُم مُحَمَّد كُلُّهُم مُحَمَّد)، هذا كلامُ أمير المؤمنين بغضِّ النَّظرِ عن أحاديث الشيعة لكنَّني لابُدَّ أن أُشيرَ إلى هذه المطالبِ لتوضيح مقصدي، فهل يُقَدِّمُ النَّبي وَسيلةً إلى اللّه هذه الوسيلةُ تكونُ ناقصةً تكونُ مخرومةً؟! نصارى نجران لَمَّا عَرفوا الأمر تراجعوا عَن المباهلة، وأقرّوا بالخُضوعِ لسُلطةِ رسول اللّه صلَّى اللّهُ عليه وآله..

في سورة الأحزاب، الآية الثالثة والثلاثين بعد البسملة: ﴿**إِنَّمَا** - وإنَّمَا للحصر - **يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾، السُنَّةُ يقولونَ من أنَّ نساء النَّبي داخلاتٌ في آية التطهير، ومن أنَّ نساء النَّبي داخلاتٌ في عنوان العترة، هذا الكلامُ يقُولُونَهُ هُم أحرارٌ فيما يقولون، لكنَّ الآية واضحةٌ لماذا انتقلت من التأنيث إلى التذكير من دُونِ مُناسبة ترتبطُ بنساء النَّبي؟! ﴿**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ** - الكلامُ مُؤنَّثٌ والخطابُ لنساء النَّبي، وهُنا تَقفُ الآيةُ وبحسبِ قراءة السُنَّة هُنا تقفُ الآيةُ وعلامَةُ وقف تُوجَدُ عندَ نهاية هذه الجُملة: **وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ** - صحيحٌ أنَّ العلامَة من علامات الوقف الجائز لكنَّهُ وقفٌ، ونحنُ لا نَثِقُ بقراءة السُنَّة، الآيةُ دالَّةٌ بنفسها على نفسها لابُدَّ أن يكونَ هُنا توقُّف، لأنَّ العبائر الَّتي قرأتُها انتهت ودخلنا في فصلٍ جديد من فُصول الآية، لماذا انتقلنا إلى التذكير؟ ثُمَّ لماذا تَغيَّر العنوان من (بُيُوتِكُنَّ)، إلى (أَهْلَ الْبَيْت)؟! الآية الَّتي بَعدَها: ﴿**وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ**﴾ ، حينما يعود الكلام يُخاطبُ نساء النَّبي بنحوٍ مُباشر يكونُ الحديثُ عن جمع للبيوت، وعن نسبة البيوت إليهن.
في الآية الثالثة والخمسين حينما كانَ الحديثُ عن نساء النَّبي: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ** - لأنَّ الحديثَ في الآية عن نساء النَّبي - **وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ من وَرَاء حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ**﴾، هذه طَهارةٌ تختلفُ عن معنى الطهارة في آية التطهير، آيةُ التطهيرِ التطهير من اللّه، أمَّا التطهيرُ هُنا: **"ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ"**، هذا تطهيرٌ من قبل الصَّحابَة لأنفُسهم، ومن قبل نساء النَّبي لأنفُسهم، فارقٌ كبير، التطهيرُ من قَبل اللّه خاصٌّ بالمجموعة الَّتي عُنونت بـ(أهل ا لبيت)، أنا لا أتحدَّث هُنا باللِسان الشيعي، أنا أتحدَّثُ هُنا بلِسان الإنصاف وبلسان العربية الواضح..
هَذه الآياتُ تلتقي كُلُّها في أفقٍ واحد: ﴿**قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**﴾، هذه مَودَّةٌ واجبةٌ، مَودَّةٌ عَقائديَّةٌ، لا يُمكنُ أن تَتوجَّه إلى جهةٍ ليست معصومةً..
عائشةُ حينما خرجت إلى البصرة إذا كانت من أهل البيت، وعليّ قطعاً من أهل البيت، فهل معنى التطهيرِ في آية التطهيرِ مُتجَسِّدٌ في الإثنين معاً؟ وهل هذا كلامٌ منطقي؟!
عائشةُ حينَ ذهبت إلى البصرة أم يَ كُن رسولُ اللّه صَلَّى اللّهُ عليه وآله قد حَذَّرها من ذَلك؟! وحَذَّرها أن تنبَحَها كلابُ الحوأب؟ الحوأبُ مَنطَقةٌ من مناطقِ البصرة، أليس أتباعُ عائشة يعتذرونَ عنها من أنَّها تابت بعد ذلك بعد أن رجعت إلى الحجاز منَ البصرة، لماذا تابت؟ ألم تَكُن قد خرجت على إمَام زمانها؟ ألم تَكُن سبباً في قتلِ الآلاف من أبنائها إذا كانت من أُمَّهات المؤمنين؟! ألم؟ ألم؟ ألم؟ فهل عائشةُ في هذا الموقفَ كانت من أهل البيت؟! هل كانت منَ العترة؟! هل كانت منَ القُربى؟! هَل صفةُ التطهيرِ في آيةَ التطهيرِ ثابتةٌ لعائشة في هذا الموقف؟! لا يستطيعُ عاقلٌ أن يقولَ بهذا بعيداً عن التعصُّب، نحنُ نتحدَّثُ بحديث الحقيقة والإنصاف، فإذا ما خرجت عائشةُ في موقفها هذا من أهل البيت ومن القربى ومن العترة فهذا يعني أنَّها ليست منهُم، ومثلما ينطبقُ هذا الكلامُ على عائشةَ ينطبقُ ع لى سائرِ نساء النَّبي، لأنَّ آية المودَّة تُلزِمُنا بمودَّة واجبةَ على طول الخط، المودَّةُ لا توجَدُ مرحلةٌ في حياتنا نستطيعُ أن نتأخَّر عنها، المودَّةُ لا مَجالَ للتنازُل عنها، بينما كُلُّ تفاصيل الدينِ من العباداتِ والطقوسِ والمعاملات إلى سائرِ الشؤون الدِّينية هُناكَ ظُروفٌ وملابساتٌ تجعلُنا إمّا أن لا نأتي بها وإمَّا أن نأتي بِها بنحوٍ مُقتَصر بنحوٍ ضعيفٍ لا كحالتها الأصليّة الأولى، أمَّا المودَّةُ لابُدَّ أن تبقى ثابتةً ولابُدَّ أن تتوهَّجَ ازدياداً..
في كُتُب السنّة:

(صحيحُ البخاري)، طبعةُ دارِ صادر/ بيروت - لبنان/ الطبعةُ الأولى/ ٢٠٠٤ ميلادي/ للبخاري المتوفّى سنة (٢٥٦) للهجرة، كتابِ فضائلِ أصحاب النَّبي، الباب التاسع: "بابُ مناقبِ عليِّ بن أبي طالب صلواتُ اللّه عليه"، أوَّلُ حديث في الباب يذكرهُ البخاري: **وقالَ النَّبي صَلَّى اللّهُ عليهِ وسَلّم لِعليٍّ** - ماذا قالَ لهُ؟ - **أنتَ منّي وأنا منك** - هذا هو مضمونُ آية المباهلة، وهذا هُوَ مضمونُ آية المودَّة، وهذا هو مضمونُ آية التطهير..

كلام النَّبي الَّذي قرأتهُ عليكُم صفحة (٦٥٤)، صفحة (٦٥٥)، رقم الحديث (٣٧٠٦): **قَالَ النَّبي صَلّى اللّهُ عليه وسلّم لعليٍّ: أمَا تَرضَى أن تكُونَ منّي بمنزلة هارونَ من موسى** - لماذا قالَ النَّبيُّ لأمير المؤمنين أمَا تَرْضَى؟ لأنَّ أميرَ المؤمنين كانَ يُحبُّ أن يُرافِقَ رسولَ اللّه حينما تَحرك باتِّجاه تبوك، والنَّبيّ هُو الَّذي طَلبَ من أمير المؤمنين أن يبقى في المدينة، فَلذا قالَ لهُ هذا الكلام، هذا هو عليٌّ الَّذي هُوَ من مُحمّد ومُحمَّدٌ منه؛ (أنتَ منّي وأنَا مِنْك).

صفحة (٦٥٦)، البابُ الثاني عشر: "بابُ مناقبِ قرابة رسول اللّه"، أوَّلُ كلمة في هذا الباب: **وَقَالَ النَّبي صَلَّى اللّه عَليه وسَلّم** - هُم الَّذينَ يُصَلّونَ الصَّلاة البتراء - **فَاطمَةُ سيّدةُ نساء أهل الجنّة** - مثلما هي سيّدةُ نساء العالَمين فهي سيّدةُ نساء النَّبي، فهي سيّدتُهنَّ في الجنَّة وفي الدُّنيا..

الحديث (٣٧١٤)، يقولُ رسولُ اللّه صَلَّى اللّهُ عليه وآله: **فَاطمَةُ بَضعَةٌ منّي** - إنَّها جُزءٌ لا يتجزّأ من مُحمَّد من مركز العصمة والكَمال والطهارة - **فَمن أغْضَبَها أغْضَبَني** - وهذا تأكيدٌ لعصمَتِها، وهذا الحديثُ يتكرّرُ في الباب الحادي والثلاثين الَّذي عنوانهُ: "بابُ مَناقِبِ فَاطِمَةَ رضيَ اللّهُ عنها"، هكذا جاء في صحيح البخاري.

هذه المضامينُ واضحةٌ وصريحةٌ جِدّاً تأتي مُتعانقةً معَ مضامين آية المودَّة وآية المباهلة وآية التطهير.

(صحيحُ مسلم)/ طبعةُ دارِ صادر/ بيروت/ لبنان/ الطبعةُ الأولى/ ٢٠٠٤ ميلادي/ صاحبِ الكتاب الَّذي يُنسبُ إليه إنَّهُ الإمامُ أبو حُسين مسلم، متوفّى سنة (٢٦١) للهجرة، صفحة (٩٠٨) كتابُ فضائل الصَّحابة، البابُ الرابع: بابٌ من فضائل عليِّ بنِ أبي طالب، رقم الحديث (٦٢٤٣): **بسنده** - بسند مسلم - **عن عامر بنِ سعد بن أبي وقّاص عن أبيه قالَ: قالَ رسولُ اللّه لعليٍّ: أنْتَ منّي بِمَنزلَةِ هَارُونَ من مُوسَى إلَّا أنَّهُ لا نَبيَّ بَعدي** - الكلامُ هُوَ هُوَ نَحنُ نتحدَّثُ عن نَبيّ هُنا إنَّهُ هارون، فهارون كانَ نَبياً وفي الوقت نَفسه كانَ وَصياً لمُوسى.

في صفحة (٩٢٢)، الباب الخامس عشر: "بابُ فَضائلِ فَاطمَةَ بنت النَّبي"، الحديث (٦٣٣٦): **بِسنده** - بسند مُسلم - **عَن رَسُولِ اللّه صَلَّى اللّهُ عَليه وآله: إنَّمَا فَاطمَةُ بَضْعَةٌ منّي يُؤذيني مَا آذَاهَا** - ألا تُلاحظونَ أنَّ صَحاح القوم تتحدَّثُ عن المضامين نَفسها؟!

في صفحة (٩٠٩)، البابُ الرابع، البابُ المختصّ بفضائلِ عليِّ بنِ أبي طالب، رقم الحديث (٦٢٥١)، أذهبُ إلى موطن الحاجة منه، الحديثُ مرويٌّ عَن زيد بنِ أرقم، هكذا يُحدِّثنا زيدُ بن أرقم بحسبِ صحيح مسلم عن رسول اللّه صَلَّى اللّهُ عليه وآله في حَجَّة الوَداع وهُو يَخطبُ في المسلمين: **وَأنَا تَارِكٌ فيكُم ثَقَلَين، أوَّلُهمَا كتاب اللّه فيه الهُدَى والنُّور فَخُذوا بِكتاب اللّه واستَمسكوا بِه، فَحثَّ على كتاب اللّه ورَغَّب فيه، ثُمَّ قَالَ: وَأهلُ بَيْتِي أذَكِّرُكُم اللَّهَ في أهْل بَيْتي، أذَكِّرُكُم اللَّهَ في أهْل بَيْتي، أذَكِّرُكُم اللَّهَ في أهْل بَيْتي** - حديثُ زيد بن أرقم بحسبِ رواية مسلم.

في صفحة (٩١٥)، الباب التاسع: "بابُ فضائل أهل بيت النَّبي"، رقم الحديث (٦٢٨٨)، الحديثُ عن عائشة: **خَرجَ النَّبيّ صَلَّى اللّهُ عليه وسلّم غداةً** - في يومٍ من الأيَّام - **عند أوَّل النَّهار وعليه مرطٌ مُرَحَّل** - المرطُ المُرحَّلُ نوعُ لباس - **من شَعرٍ أسود، فجاء الحَسنُ بن عليٍّ فأدخَلَهُ** - أدخلَهُ تحتَ هذه العباءة - **ثُمَّ جاء الحُسَينُ فَدخلَ معَه، ثُمَّ جَاءت فَاطمَةُ فأدخَلَها، ثُمَّ جاء عليٌّ فَأدخَلَهُ، ثُمَّ قالَ: "إنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُم الرِّجْسَ أهْلَ الْبَيْت وَيُطَهِّرَكُم تَطْهِيراً"** - هل تريدونَ شيئاً أوضحَ من هذا؟! هؤلاء هُم أهلُ البيت.

(المستدرَكُ على الصحيحين) للحاكمِ النيشابَوري، المتوفّى سنة (٤٠٥) للهجرة، والحاكمُ النيشابوريُّ إنَّما قيلَ لَهُ الحاكم لأنَّ درجة الحاكم أعلى درجات العلم والتخصُّص بالحديث عندَ السُّنَّة عندَ أهل الحديث، الحاكمُ دَرجةٌ علميّةٌ هي أعلى درجات العلم بالحديث بِسُنَّة النَّبي بحسبِ ما هُم يَعتقدون، الحاكمُ النيشابوري وجدَ أنَّ هُناكَ كثيراً مَنَ الأحاديث تنطبقُ عليها شرائطُ البخاري وشرائطُ مسلم إلَّا أنَّ البخاري لم يُثبتها في صحيحه وكذلك مسلم لم يُثبتها في صحيحه، عن غفلة عن تَعمّد نَحنُ لا نُناقشُ هذا الموضوع، البرنامجُ ليسَ مُختصّاً في التوغُّل في هذه المطالب، جاء الحاكمُ النيشابوري فجمعَ هذه الأحاديث ووضعها في كتابٍ أسماهُ (المستدرَكُ على الصحيحين)، على صحيح البخاري وصحيح مسلم، طبعةُ دارِ الكُتب العلمية، بيروت، لبنان، الجزء الثالث، صفحة (١٦٠)، رقم الحديث (٤٧١١): **بِسنده** - بسند الحاكم النيشابوري - **عن زَيد بن أرقم رضي اللّهُ عنه قَالَ، قالَ رَسُولُ اللّه صَلَّى اللّهُ عليه وسلّم: إنِّي تَارِكٌ فيكُم الثَّقَلَين كتابَ اللّه وَأهْلَ بَيتي وَإنَّهُما لَنْ يَتَفَرَّقَا حتَّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْض** - ثُمَّ علَّق الحاكمُ النيشابوري: **هذا حديثٌ صحيحُ الإسناد على شرط الشيخين** - البخاري ومسلم - **ولم يُخرِجاه.**

إذاً الكلامُ عن العترة وعن أهل البيت كلامٌ عن مَعصُومين.

فعائشةُ حينما كانت في البصرة هل كانت مُلتَصقةً بكتاب اللّه؟! في الأخبار الَّتي عندَنا الشيخ المفيد يذكرُ هذا في كتابه (الجمل وقَعةُ الجَمَل)، من أنَّ عائشة أخذت كَفّاً من الحصباء مثلما فَعلَ رسولُ اللّهَ صلَّى اللّهُ عليه وآله في بدر فأخذَ كَفّاً منَ الحصباء ورمى بِها قريشَ وقالَ: شَاهَت الوُجُوه، والقُرآنُ في سورة الأنفال يتحدَّثُ عن هذه الواقعة: ﴿**وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـكِنَّ اللَّهَ رَمَى**﴾، في الآيةِ السابعة بعدَ العاشرة بعدَ البسملة، عائشةُ أخذت كَفّاً من الحصباء ورمت به باتجاه أمير المؤمنين وجيشه تُريدُ أن تَخدعَ الَّذينَ معهم وقالت: " شَاهَتَ الوجوه"، ماذا قالَ لها عليٌّ صلواتُ اللّه عليه بعد أن التقى بها بعدَ الواقعة؟ قالَ لها: "يا عائشة ومَا رَمَيتَ إذْ رَمَيت وَلَكنَّ الشَّيطانَ رَمَى"، فهل عائشةُ هُنا في هذا الموقف وبسببها سُفكت الدِّماءَ والدِّماء، هل كانت ممازجةً لكتاب اللّه حتَّى تُعدَّ من أهل البيت حتَّى تُعدَّ منَ العترة الطاهرة هل يقولُ مُنصفٌ بهذا؟!

في (المستدرك على الصحيحين)، هذه الأحاديثُ بنفس مستوى أحاديث الصحيحين..

كتابٌ من الكتبِ المعاصرة الشهيرة؛ (سلسلةُ الأحاديث الصحيحة وشيءٌ من فقهها وفوائدها)، لمحمّد ناصر الدين الألباني، عالمٌ مُتخصِّصٌ في هذا المجال، توفّي سنة (١٤٢٠) للهجرة، في سنوات قريبة من أيّامنا هذه، سلسلةُ الأحاديث الصحيحة وقد دَقَّقَ كثيراً في هذا الكتاب بحسبِ ما هُم يَعتقدون، المجلَّد الرابع/ طبعةُ مكتبة المعارف للنشرِ والتوزيع/ الرياض/ السعودية/ صفحة (٣٥٥) الألباني في كتابه هذا وهُو كتابٌ كبيرٌ ذَكر الأحاديثَ الصحيحةَ فَقط بحسبِ قواعد علم الرِّجال وقواعد علم الحديث عندَ السُّنَّة..

صفحة (٣٥٥)، رقم الحديث (١٧٦١): **عَن رسول اللّه صَلَّى اللّهُ عليه وآله: يا أيُّها النَّاس إنِّي قد تَركتُ فيكُم مَا إنْ أخذتُم به لَن تَضلّوا؛ كتابَ اللّه وعترتي أهلَ بَيتي** - إذا كانت عائشةُ داخلةً في هذا الحديث حينما اتَّبعها الَّذينَ اتَّبعُوهَا في البصرة اهتدوا أم ضَلّوا؟ لقد ضَلّوا..

هذه الأحاديثُ الصحيحةُ برغمِ آنافِ عُلماء السُّنَّة، هذه كُتُبهم، هل تُريدونَ وثائقَ أقوى منَ هذه الوثائق؟!

في سورة النحل، الآيةُ التاسعةُ والثمانون بعدَ البسملة ممَّا جاء فيها: ﴿**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ**﴾، هذا الكتابَ بحسبِ هذه الآية وهُوَ يتحدَّثُ عن نفسه تِبيانٌ لِكُلِّ شيء..

في السورة نفسها، الآية الرابعة والأربعين بعد البسملة: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾، إذا جمعنا هذه الآية مع الآية الَّ تي مَرّت فهذا يعني أنَّ رسولَ اللّه صَلَّى اللّهُ عليه وآله مُحيطٌ بِكُلِّ تبيانٍ وأسرارِ هَذا الكتاب، وهذا شيء طبيعي لأنَّ اللّه أنزلَهُ عليه ولابُدَّ أنَ يُبلِّغهُ للنَّاس، ولابُدَّ أن يُعلِّمهُ للأُمَّة، فلابُدَّ أن يَكونَ مُحيطاً بِكُلِّ ذلك التبيان الَّذي تحدَّثت عنهُ الآيةُ..

في الآية الرابعة والستين بعد البسملة من سورة النحل: ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾، الآياتُ واضحةٌ من أنَّ الكتابَ فيه بيانٌ لكُلِّ شيء، ومن أنَّ الَّذي يُحيطُ بهذا البيان رسولُ اللّه صَلَّى اللّهُ عليه وآله..

هذا المضمونُ جاء بصياغة أخرى في سورة الواقعة، الآية السابعة والسبعين بعدَ البسملة وما بعدها: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ۞ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ۞ لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ۞ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾، هؤلاء هُم المطهَّرون، بعدَ كُلِّ هذه التفاصيل سيكونُ الباحثُ مُضطراً أن يقولَ من أنَّ المطهَّرينَ هُمُ هُمُ هؤلاء الَّذينَ تَحدَّثت عنهم آيةُ المودَّة وآيةُ المباهلة وآيةُ التطهير، هُمُ هُمُ الَّذينَ تَحدَّثت عنهُم أحاديثُ البخاري وأحاديثُ مسلم وأحاديثُ المستدرك للنيشابوري وأحاديثُ الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة..

في سورة الأحزاب: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾، التلاوةُ ليست من قبل نساء النَّبي، وإنَّما نساءُ النَّبي يَذكُرنَ ما يُتلى في بُيوتهن، هُناكَ جِهةٌ واحدةٌ تتلو الكتابَ هؤلاء هُم المطهَّرون الَّذينَ جاء ذكرهُم في سورة الواقعة، هؤلاء هُم الَّذين يَتلُونَ الكتابَ حقَّ تلاوته كما في الآية الحادية والعشرين بعد المئة بعد البسملة من سورة البقرة: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ - بشكلٍ خاص هؤلاء هُم الَّذينَ تحدَّثت عنهم آياتُ سورة الواقعة - يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ أُوْلَـئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾، حقُّ التلاوة كما في أحاديثنا خاصٌّ بمُحمَّد وأهل بيته، أُعطي لَهُم بشكلٍ مُباشر، هؤلاء هُم الَّذينَ يستطيعونَ أن يتمازجوا معه، هؤلاء هُم الَّذينَ لن يفترقوا عن هذا الكتاب حتَّى يَرِدوا الحوضَ على رسولِ اللّه صَلَّى اللّهُ عليه وآله، عامَّةُ المسلمينَ لا ينطَبِقُ عليهم هذا الكلام..

في سورة الأحزاب، نساء النَّبي: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفاً خَبِيراً﴾، فنساءُ النَّبي لَسنَ في هذه الدرجة في درجة التلاوة بمستوى حقّ ا لتلاوة، وإنَّما يتحدَّثُ القرآنُ مُخاطباً نساء النَّبي، الحديثُ هُنا عن حقِّ التلاوة، حقُّ التلاوة خاصٌّ بالَّذينَ آتاهُم اللّهُ الكتاب..

في سورة فاطر، الآية التاسعة والعشرين بعدَ البسملة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾، هذه تلاوةُ المؤمنين، هذه تلاوةُ المسلمين، هذه تلاوةُ الصَّحابة، هذه تلاوةُ نساء النَّبي..

أمَّا حَقّ التلاوة فَهُو خاصٌّ بالَّذينَ آتيناهُم الكتاب، إذَّ هُمُ المطهَّرون الَّذينَ يَكونونَ على مُماسَّة مُمازجة بهذا الكتاب، إنَّهم العترةُ الَّذينَ لَن يَفترِقوا عن هذا الكتاب..

هُمُ هُمُ الَّذينَ جاء ذكرُهم في الآية السابعة بعدَ البسملة من سورة آل عمران: ﴿هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ - بِحسبِ القراءة السُنيَّة تَوقَّف، ثُمَّ نبدأ جُملةً استئنافيةً: وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الألْبَابِ﴾.

وبحسبِ القراءة الشيعيّة: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ - هذه قراءةُ العترة - يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الألْبَابِ﴾.

هذه الآيةُ هكذا يُعربها السُنِّيون:

"وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ"؛ هذه الواو استئنافيّة، استئنافيّة أي أنَّ الكلامَ بدأ جديداً..

"وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّه"؛ انتهى الكلام.

فحينما تكون الواو استئنافيّة (الرّاسخُون) تُعرَبُ هُنا مبتدأ.

"يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا"؛ هذا خبر عن الراسخين.

الكلام ضعيفٌ جِدَّاً أتعلمونَ لماذا؟ لأنَّ الرّاسخينَ في العلم لابُدَّ أن يكونوا عالمين، وإلَّا كيفَ وَصفَهُم القُرآنُ بأنَّهم رَاسخونَ في العلم؟! الآيةُ لا تتحدَّثُ عن علمٍ واسعٍ هنا، وإنَّما يَقُولُونَ: آمَنَّا به تَسليماً، نَحنُ نُسَلِّمُ بالـمُحكَم والـمُتشَابه من دُون علمٍ، فهل يصحُّ هذا الكلام ونحنُ نتحدَّثُ عن راسخينَ في العلم؟!

وَإذا أعربنا (الرّاسخُونَ فِي العِلْم) مبتدأ، وأخبرنا عنه (يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ من عِندِ رَبِّنَا)، الإخبارُ يعني أنَّ الرّاسخينَ في العلم حالتهُم المستمرةُ والدائمَةُ هي هذه، هذا معنى مبتدأ وبعدَ ذلكَ نُخبِرُ عنه بهذه الجملة الفعليّة، هل هذا كلامٌ منطقيٌ؟!

لأنَّ السُنِّيينَ يُريدونَ أن يقولوا بأنَّ الرّاسخينَ في العلم لا يَعلَمونَ تأويلَ القُرآن، تأويل القُرآن لا يَعلَمهُ إلَّا اللّه، هل هذا الكلامُ منطقيّ من أنَّ اللّه يُنزِلُ كتاباً لا يَعلَمُ حقيقتهُ إلَّا هُوْ إذاً ماذا يَعمَلُ النَّبي؟! إذاً ماذا تعملُ الآيات الَّتي مَرّت علينا من أنَّ النَّبيّ لابُدَّ أن يُبيِّنَ للنَّاس ما أُنْزِلَ إليهم؟ كيفَ يُبيِّن للنَّاس ما أُنزِلَ إليهم وهُو لا يُحيطُ علْماً بأسراره وحقائقه؟! النَّبيُّ صَلَّى اللّهُ عليه وآله هُو الَّذي يقول: من أنَّ الأنبياء يُكَلِّمونَ النَّاسَ على قَدْرِ عُقولهم، ومن أنَّهُ صَلَّى اللّهُ عليه وآله كانَ يُكَلِّمُ النَّاسَ على قَدْرِ عُقولهم، كيفَ يستطيعُ أن يُكَلِّم النَّاسَ على قَدْرِ عُقولهم ما لم يَكُن مُلِمّاً بِكُلِّ حقائق القُرآن وعَارِفاً بأحوال النَّاس؟!

أُقَرِّبُ لَكُم الفكرة:

في الآية السابعة من سورة الفاتحة: "صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ"، مَن هُم هؤلاء؟ لابُدَّ من تقديرٍ هُنا، حتَّى إذا قرأنا: "غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ"، حتَّى إذا قرأنا بقيّة الآية فإنَّنا بحاجة إلى تَقدير من هُم هؤلاء؟

هذا التقدير نأخُذهُ من سورة النساء، ومن الآية التاسعة والستين بعدَ البسملة: ﴿وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالحِينَ وَحَسُنَ أُولَـئِكَ رَفِيقاً﴾.

إذا أردنا أن نُعرِبَ إعراباً كَامِلاً تاماً لأجل بيَان البَلاغة والتفسير فلابُدَّ أن نقولَ هكذا: (صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ، "مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالحِينَ"، غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ)، لأنَّ الآية هكذا تقول: ﴿وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم - من هُم الَّذين أنعمَ اللّهُ عَلَيهم؟ - مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالحِينَ وَحَسُنَ أُولَـئِكَ رَفِيقاً﴾.

أعودُ إلى الآية السابعة بعد البسملة من آل عمران: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾، انتهى الكلام، لابُدَّ من تقديرٍ، إنَّني أتحدَّثُ عن قراءة العترة الطاهرة وتفسيرها.

في الجزء الأوَّل من الكافي الشريف، طبعةُ دار الأسوة/ طهران - إيران/ صفحة (٣٣٨): بابُ أنَّ الرَّاسخينَ في العِلْم هُم الأئمَّة، الحديثُ الثاني، الحديثُ طويلٌ سأقرأ منهُ مَقطعين قَصيرين:

المقطعُ الأوّل: **فَرَسُولَ اللّه أفْضَلُ الرَّاسخينَ في العلْم** - لابُدَّ أن يكونَ مَوجوداً في الآية ﴿**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ**﴾، الَّذينَ ذُكروا مع رسول اللّ ه بنفس المستوى العلمي بِغَضِّ النَّظرِ هَل يَعلمونَ التَّأويلَ أم لا يَعلَمونَ التَّأويل، إذا كانَ رَسولُ اللّه يَعلَمُ التَّأويل فَهُم يَعلَمونَ التَّأويل، وَإذا كانَ رسولُ اللّه لا يعلَمُ التَّأويل فَهُمُ لا يَعلَمونَ التَّأويلَ أيضاً، هل تستطيعونَ أن تُخرِجوا رسولَ اللّه من الرّاسخينَ في العلم؟ إنَّهُ سَيد الرّاسخينَ في العلم - **قَدْ عَلَّمَهُ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ جَميعَ مَا أَنْزَلَ عَلَيه منَ التَّنْزيلِ وَالتَّأْوِيل ومَا كَانَ اللّه لِيُنَزِّلَ عَلَيه شَيْئاً لَم يُعَلِّمهُ تَأْوِيلَه وَأَوْصيَاؤُهُ من بَعْده يَعْلَمُونَهُ كُلَّه** - هذا هُو المنطقُ السَّليم، وهُم الَّذينَ لن يَفترقوا عَن كتاب اللّه إنَّهُم العترةُ الطاهرة إنَّهم أهل البيت الَّذينَ ذُكروا في الأحاديث الصَّحيحة فَي كُتُب السُنَّة..

وَالَّذينَ لَا يَعْلَمُونَ تَأْوِيلَهُ إِذَا قَالَ العَالِمُ فيهِم بِعلْمٍ - إذا قالَ النَّبي، إذا قالَ الوصي - **فَأَجَابَهُم اللّهُ بِقَوله: "يَقُولُونَ آمَنَّا بِه كُلٌّ من عند رَبِّنَا"** - هذا جوابَ الَّذينَ لا يَعلَمونَ تَأويلَهُ، فَلابُدَّ من تَقديرٍ يُخبِرُ عن المجموعة الثالثة.

في سورة الواقعة: ﴿**لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ۝ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ**﴾، هذا الكلامُ لن يَتحقَّقَ إلَّا وفقاً لفَهم الآية وتفسيرها وإعرابها بِحسَبِ ما بَيّنتُ لَكُم.

وهذا المضمونُ هُو مضمونُ حديث الثَّقَلين: (**إِنِّي تَارِكٌ فيكُم الثَّقَلَين كتابَ اللّه وَعترَتِي أَهْل بَيْتي، مَا إنْ تَمَسَّكتُم بِهِمَا لَن تَضلُّوا بَعْدي أَبَدا، لَن يَفْتَرِقَا حتَّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْض**)، هذا هُو حديث الثَّقَلين، هل تريدونَ صُورةً تكونُ أوضحَ من هَذه الصورة؟!

"يَقُولُونَ آمَنَّا بِه كُلٌّ مِّنْ عند رَبِّنَا"؛ هذا إخبارٌ عن الَّذينَ لا يَعلَمونَ التَّأويل، فَهُناكَ واوٌ استئنافيّة مع مبتدأ، ("وَالَّذينَ لَا يَعلَمونَ تَأويلَهُ" **يَقُولُونَ آمَنَّا بِه كُلٌّ مِّنْ عند رَبِّنَا**)، وهذه الواو قد تكونُ عاطفةً أيضاً، يُمكن أن تكونَ عاطفةً على أصل الجملة: (**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ** - هذه جُملةٌ، وتأتي جملةٌ إسميّةٌ معطوفةٌ عليها: "وَالَّذينَ لا يَعلَمونَ تَأويلَهُ" **يَقُولُونَ آمَنَّا بِه كُلٌّ مِّنْ عند رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الألْبَابِ**).

وبغضِّ النَّظرِ عن الإعرابِ هذا قد تجدونهُ صحيحاً، قد تجدونهُ لَيسَ صحيحاً، قد تجدونَهُ مُعقَّداً، قد تجدونَ تَكلُّفاً فيه، بِغَضِّ النَّظرِ عن كُلِّ هذا، إذا جمعنا كُلَّ الآيات الَّتي تَقدَّم ذكرُها، وجمعنا كُلَّ الأحاديث الَّتي تَقدَّمَ ذكرُها فإنَّنا سنصلُ إلى نتيجة واضحة بَيِّنة: من أنَّ المجموعةَ الثالثة والَّتي هي غَيرُ الصَّحابَة، وغيرُ نساء النَّبي، (القُربى)، هذه المجموعةُ لا يوجدُ بِخُصوصها ذَم، لا في القُرآن ولا في الأحاديث، فليسَ هُناكَ من ذَم، بينما الصّحابَةُ ونساءُ النَّبي في القُرآن وفي الأحاديث هُناكَ مَدحٌ لهما وذَمٌّ لَهُما، أمَّا القُربى في القُرآن والأحاديث لا يوجدُ إلَّا المَدح، وهذه قضيّةٌ واضحةٌ جِدّاً، هذا يعني أنَّ الوسيلة إلى اللّه وأنَّ السَّببَ إلى اللّه هؤلاء هُم، فإذا أردنا دينَ اللّه فَمن هُنا يُؤخَذ من هذه الجهة من جهة القُربى.